المغول بين الهيمنة والأفول 603-658هـ/ 1206-1260م

أ.جمال داود جامعة البليدة2-

ملـــــــخص:

أسعى من خلال هذا المقال للتعريف بالمغول،وأبين أهم نظمهم السياسيـة والعسكرية ، وتحديد علاقتهم بالعالم الاسلامي منذ ظــهورهم سنة 603هـ/1206م،الى انهزامهم في معركة عين جالوت ،على يد المماليك سنة 658هـ/1260م،وتميزت هذه العلاقة بالحروب والغزو الذي شنه المـغول على العالم الإسلامي بدء بالقضاء على الدولة الخوارزمية ، والطائفة الاسماعيلية ،والخلافة العباسية ،وبلاد الشام ،الى أن وصلوا الى بلا مصر ،وهنا تصدى لهم المماليك والحقوا بهم الهزيمة لأول مرة على يد جيش مسلم ،وبهذا انكسرت شوكتهم ،وتراجعت قوتهم ،دون ان ننسى أوضاع العـالم العالم الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، والتى تميزت بالضعف والانحـطاط ،ساعدت المغول على تحقيق أهدافهم.

:Résumé

À travers cet article, nous cherchons à définir les Mongols, à montrer leurs systèmes politiques et militaires les plus importants et à définir leurs relations avec le monde islamique depuis leur apparition en l'an 603H / 1206, pour les vaincre lors de la bataille d'Ain Jalut, aux mains des Mamelouks en l'an 658 H / 1260, et cette relation a été marquée par les guerres et les conquêtes lancées par les Mongols L'islam a commencé par l'élimination de l'état de l'algorithme, la secte ismaélienne, le califat abbasside et le Levant, jusqu'à ce qu'ils atteignent l'Égypte sans l'Égypte. Pas le monde musulman, comme l'invasion mongole, qui a été caractérisée par une faiblesse et de la décadence, les Mongols ont aidé à

مقـــــــدمة:

ظلت الأطماع تراود كل قوّة ناشئة في السيطرة على الشرق الإسلامي، وجاءت هذه الأخطار أوّل الأمر من جهة الغرب المسيحي، وذلك بما سيّره من حملات حربيّة، أقامت في جوف العالم الإسلامي إمارات الرها، وأنطاكية وبقيت المقدس، وطرابلس.

و في أوائل القرن الثالث عشر ميلادي (13م)، السابع الهجري (7هـ)، ظهرت قوّة جديدة على مسرح الأحداث السياسية ،تلك هي قوّة المغول في أقصى الشرق بآسيا، بزعامة جنكيزخان وخلفائه (أوكتاي، كيوك، ومونكو 1206- 1257م)، فاجتاحت هذه القوة الصين ثم آسيا الوسطى، وأملاك الدولة الخوارزمية. ودولة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى (قليقيا)، ثم نفذوا إلى أوربا الشرقية وروسيا وبولندا والمجر.

وإن خفت حركة المغول نسبيّا في فترة حكم كيوك بن أوكتاي (644-647هـ/ 1246- 1249م). فإنها عادت أشرس وأقوى في عهد مونكو بن تواسي (641- 657هـ/ 125- 125م)، فقد فتح هذا الخاقان عهده بأن أرسل حملة لإكمال ضم الصين الجنوبية يقودها أخوه قوبيلاي، وحملة أخرى يقودها أخوه الأصغر هولاكو، وقد أوغز مونكو لأخيه هولاكو بأن يقضي على كلّ القوى السياسية في الغرب، وفي مقدمة هؤلاء طائفة الإسماعيلية في مزندران، والخلافة العباسية في بغداد، فإذا أكمل هذا الجزء، توجه إلى بلاد الشام، ومنها إلى مصر.

أكمل هولاكو جزءا كبيرا من خطة مونكو، فقد أسقط الخلافة العباسية، ثم سيطر على بلاد الشام، ولكنه إضطر إلى أن يعود إلى تبريز في أذربيجان حتى يكون على مقربة من الأحداث التي نشبت بسبب وفاة مونكو، وقيام النزاع على العرش بين أخويه قوبيلاي وأريق بوقا، وكان هولاكو قد ترك في بلاد الشام قوّة مكونة من 10 ألاف جندي يقودها كتيغا نوين أوعز إليه بإجتياح مصر، والقضاء على دولة المماليك الناشئة.

إمتلك سلطان المماليك آنذاك المظفر سيف الدين قطز ما فُقد عند الكثير من الحكام المسلمين، فقد أقدم في خطة جريئة على الخروج من مصر لملاقاة المغول في أرض مكشوفة، وإستطاع ولأوّل مرّة في تاريخ المغول أن يكبدهم خسارة حقيقية في معركة عين جالوت سنة 658 هـ/ 1260م، هذه المعركة التي جعلت كلّ طرف يعيد حساباته، فقد أدرك المغول، أنهم يواجهون عدوا ليس بالسهل كما تعوّدوا، كما أنّ هذه المعركة تعتبر شهادة الميلاد الحقيقية لدولة المماليك البحرية، فقد إكتسبوا من خلالها الشرعيّة الحقيقية في الحكم.

وسأحاول في هذا المقال أن أنطلق مع تاريخ المغول من هضبة منغوليا ،بدءا بموحّد قبائلهم جنكزخان وصولا إلى سقوطهم في معركة عين جالوت، باحثا في الأسباب التي جعلتهم يجتاحون دول العالم في فترة لم تتجاوز الربع قرن، ثمّ سقوطهم المفاجئ في معركة عين جالوت، وعليه:

- ماهي أهم مميزات المغول وبيئتهم الإستبس؟
- كيف إستطاع جنكزخان أن يوّحد هذه القبائل التي كانت تسكن هضبة منغوليا، وكيف إستطاع أن يجتاح أراضي متحضرة كالصين والدولة الخوارزمية وأوربا الشرقيّة،ويؤسس امبراطورية مترامية الأطراف في فترة وجيزة؟
- وماهي أسباب إنهزام المغول في معركة عين جالوت؟

I. التعريف بالمغول وبيئتهم الإستبس:

1- **أصل المغول وموطنهم:** يكتنف التاريخ المبكر للمغول الكثير من الغموض، وذلك راجع إلى كثرة الشعوب التي سكنت منطقة الإستبس[1] بصفة عامة وهضبة منغوليا بصفة خاصة، والمعروف أنّ هذه اللفظة مشتقة من كلمة " مونغ " الصينية[2]، وقد وردت أوّل إشارة عابرة عنهم في تاريخ أسرة " تانغ الصينية " منذ عام (60هـ/ 680م).

ولم يكن للمغول سوى تأثير ظئيل في الحياة السياسية ، فشهرتهم بدءت في الظهور مع فاتحة القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد، وكانت مضاربهم في الهضبة المعروفة بهضبة "منغوليا" شمال"صحراء جوبي"، وهي أراضي واسعة تنعدم في نواحيها (المياه) وعاشوا على روافد نهر عامور، واحتلوا الأراضي الواقعة بين بحيرة بيكال في الغرب وجبال كنجان " على حدود منشوريا في الشرق، وسبق حضور عالم البدو المشوّش

[1] أغلب تلك الشعوب هي من أصل تركي أو مغولي، أنظر: السيد الباز العريني، المغول، دار النهضة العربية، بيروت، 1406هـ/1986م، ص5.

[2] تعني باسل وشجاع، العريني، المرجع نفسه، ص39.

لإدارة جنكزخان عدّة محاولات تمهيدية لتوحيد القبائل المغوليّة[1] ، غير أنها لم تفلح ومن هذه المجادلات نذكر على سبيل المثال لا الحصر تأسيس دولة القرخطاي في الربع الاول من القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي.[2]

إنّ جد المغول الذي ينتمي إليه جنكزخان هو " بودنشار أو زنجر "، وقد خلف هذا الأخير بعد موته إبنه " قايدو "الذي إتخذ لقب خان، ويعتبر هذا الأخير المؤسس الحقيقي لقوّة المغول، ثمّ خلف قايدو بعد وفاته إبنه " بابسينغر "، وبعده إبنه " تومينا خان "، الذي خلفه إبنه "كابل خان " وهو جد جنكزخان، وقد توترت في عهده العلاقات مع الصينيين وبشكل اكبر في عهد والد جنكزخان يوسوكاي بهادر[3]، الذي دخل في صراعات حتى مع قبائل التتار، حيث أنه في وقت ولادة جنكزخان كان والده يحارب التتار، وقد قضى على ملكهم الذي يسمى " تيموجين "[4].

ومن خلال هذا يتضح أنّ المغول غير التتار، فالتتار هم من الأقوام غير التركية التي سكنت المنطقة التي يحدّها نهر "أورخون" و"سلنجا"، ومملكة التيرغيز، وشرقا إقليم الخطا والصين الشمالية، وغربا مماليك "الأريغور"، وجنوبا إقليم التبت ومملكة "تيغونت"، وهم قد أخضعوا أغلب القبائل المجاورة لهم، حيث أنّ قبائل الأتراك على إختلافهم تسموا بإسمهم، فأطلق على الجميع إسم التتار[5].

---

[1] كانت النواة الأولى لتوحيد المغول وتشكيل مملكة في عهد جد المغول "بودنستار" ثم في عهد إبنه "قايدو" الذي إتخذ لقب خان. أنظر: بيرتولد شبولير، المغول في التاريخ، ترجمة: يوسف شلب الشام، ط1، طلاسم للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1980م، ص 11،12.

[2] شبولير، المرجع نفسه، ص 13.

[3] فؤاد عبد المعطي الصيّاد، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، دت، ص 39.

[4] الصيّاد، المرجع نفسه، ص 41.

[5] العقيد محمد أسد الله صفا، جنكزخان الوحشي النابغة 1167- 1227م،دار النفائس، بيروت 1408م/ 1998، ص38.

لقد عرف مغول جنكزخان في القرن السابع (7هـ)، الثالث عشر ميلادي (13م) باسم التتار، على الرغم من أنّ التتار كانوا عدّة قبائل مستقلة عن المغول، ومن هذا المنطق فإنّ لفظة التتار والمغول إسمان لقبيلتين تعيشان في الشطر الشرقي من آسيا وفي الشمال الغربي من الصين.[1]

وأطلق المؤرخون المسلمون في العصور الوسطى على كل موجه بشرية نزحت من أواسط آسيا إسم الترك حينا، والتتار حينا آخر من غير تحديد، حتى أنهم سموا الزحف المغولي الكبير بزحف التتار، حيث بذكر جلال الدين السيوطي نقلا عن كل من الذهبي وابن الأثير، وابن كثير، وأبو شامة، والموفق عبد اللطيف في سياق حديثهم عن مغول جنكزخان أنهم يطلقون عليهم لفظ التتار.[2]

2-أوصافهم وطبائعهم:

كانت للمغول أوصاف وطبائع خاصة تميزهم عن غيرهم من الشعوب، وأغلب هذه الطبائع نتيجة للبيئة القاسية التي عاشوا فيها، فالنسبة للمأكل كانت عنايتهم بالقوت أكثر من عنايتهم بالدفء، وضروريات الحياة الأخرى، خاصة وأنّ غذائهم كان قليل، فقد كانوا يقضون الليالي الطوال سائرين في الثلوج بحثا عن الطعام دون أن يوقدوا نارا للتدفئة، ولا شك أن ذلك قد أفادهم في حروبهم.[3]

ولقد أجاد في وصفهم الموفق عبد اللطيف إذ يقول: " ...حيدثهم يأكل الأحاديث، وخبرهم يطوي الأخبار ....وهذه الأمة لغتهم مشوبة بلغة الهند، لأنهم في جوارهم، وهم بالنسبة للترك عراض الوجوه، واسعوا الصدور، حفاف الأعجاز، صغار الأطراف، سمر الألوان، سريعوا الحركة في الجسم والرأي، تصل إليهم أخبار الأمم، ولا تصل أخبارهم إلى الأمم، وقلّما يقدر جاسوس أن يتمكن منهم، لأن الغريب لا يتشبّه بهم ... ونساؤهم يقاتلن كرجالهم ...

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العطام والإيلخانيين، ط1، دار النفائس، بيروت، 1420هـ/ 2007م، ص25.

[2] جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحت: أحمد ابراهيم زهرة وسعيد بن أحمد العبد ويسي، ط4، دار الكتاب الغربي، بيروت، 1424هـ/ 2003م، ص 357، ومابعدها.

[3] الصيّاد، المرجع السابق، ص 330.

وأكلهم أيُّ لحم وجد، وليس في قتلهم إستثناء ولا إبقاء، يقتلون النساء والأطفال، وكأن مقصدهم إفناء النوع وإبادة العالم لا قصد الملك و المال ..."[1].

3-دينهم وقوانينهم:

لم يكن للمغول دين واحد يعتنقونه، بل كانت قبائلهم تتنازع الديانات المختلفة من شمانية، وبوذية، ومسيحية، وإسلام، ولهذا لم يتعصوا لدين دون آخر، أو لمذهب دون غيره، فأما الشمانية وهي نوع من الديانات الوثنية فكانت تتمثل في عبادة كل شيء يسموا على مدارك المغول، ويقال أن جنكزخان كان على دين الشامان أسلافه القدماء. [2]

ولكن الديانة البوذية ما فتئت أن حلت محل الديانة الشامانية، وإجتذبت إليها طوائف المغول وخصوصا بعد أن إستقرت هذه الديانة في هضبة التبت، واخذ دعاتها يعملون على نشرها في الجزء الشرقي من آسيا، وعندما إعتنق الخان الأعظم " قوبيلاي "، هذه الديانة زاد نفوذها زيادة كبيرة.[3]

كذلك إستطاعت الديانة المسيحية أن تتغلغل بين المغول، على أن الإسلام إنتشر بشكل أوسع بين المغول، وذلك عندما إعتنق بركة[4] خان القبيلة الذهبية 654-666هـ/1256-1267م ثم إعتناق الإيلخان أحمد توكودار بن هولاكو 681-683هـ/1282-1284م للدين الإسلامي، وبعده الإيلخان غازان بن أرغون.[5]

---

[1] السيوطي، المصدر السابق، ص 357.

[2] طقوش، المرجع السابق، ص 41، صفا، المرجع السابق، ص 103.

[3] الصيّاد، المرجع السابق، ص 335.

[4] هو ابن عم هولاكو، وهو ابن جوجي بن جنكزخان، وكان ممن أجلس الخاتان مونكو على سرير القاآنية. أنظر: رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ حلفاء جنكزخان من أوكتاي قاآن إلى سيمور قاآن فؤاد عبد المعطي الصياد، ط1، دار النهضة العربية. بيروت، 1983م، ص 123.

[5] الصيّاد، المرجع السابق، ص 337.

أما فيما يتعلق بقوانينهم فقد إقتضت حياة المغول رغم بدائيتها وبساطتها أن تكون لهم قبل جنكزخان مجموعة من الآداب والتقاليد، ولكنها لم تكن مدونة، لجهلهم بالكتابة، فلما جاء جنكزخان أعاد النظر في هذه العادات وجعل لها صيغة رسمية وأمر أن تدون هذه الأحكام بالخط الإيغوري، وأطلق على كل حكم من هذه الاحكام اسم ياسا، وهي كلمة تعني حكم وقاعدة وقانون، وتكتب بصورة مختلفة في الكتب العربية والفارسية فنجد "ياسا" و "سياسه" و "ياساق" و "سيو"، وتطلق على الحكم الذي يصدره الملك، ولما كان كتاب "الياسا" يشتمل على جزء كبير من الأحكام التي تتعلق بالجزاء والعقاب، وتتلخص أحكامها في ثلاثة أمور هي الخضوع لسلطة جنكزخان، والإتحاد في قبيلة واحدة، العقاب الصارم لكل مخطئ.[1]

2-نظمهم الاجتماعية والإدارية والحربية:

لقد كان للمغول نظم إجتماعية خاصة بهم تميزهم عن باقي الأمم، فهم تميزوا بالبداوة وسكنوا الخيام التي كانت تتخذ صفة المدينة الكبيرة، وكانت التركيبة الاجتماعية مقسمة إلى عدة طبقات، فالسكان الذين يصطحبون الخان يمثلون جميع الطوائف من قواد الجيش والمشاة والكتاب والصناع والتجار ...إلخ، وكان أرباب الحرف والصناع يزاولون البيع والشراء ويمدون مدنهم المتنقلة (الخيام) ما يلزمها من حاجيات، أما طرق الإتصال بين المغول فكانت تتم عن طريق المبعوث أو السفير[2]، الذي يطلق عليه لقب "إيلجان"، أما عن الزواج فيحق للخان أن يتزوج بمن يشاء من النساء، فكانت زوجات جنكزخان يزدن عن خمسمائة زوجة، كما أنه بعد موت الخان تؤول جميع نسائه إلى أكبر أبنائه، وله أن يتزوج بمن شاء منهم ما عدا أمه[3].

وقد ظهرت التنظيمات الإدارية والحربية للمغول بشكل جلي في عهد جنكزخان حيث اتخذها أساس من أسس الوحدة المغولية، بحيث قسم الجيش إلى عدة فرق كل منها أنيطت بها مهمّة خاصة، واعتنى عناية خاصة لدرجة أنها لا تخرج للحرب إلا إذا كان الخان نفسه مع الجيش في ميدان القتال[4].

---

[1] العريني، المرجع السابق، ص 60، طقوش المرجع السابق، ص 132.

[2] الصيّاد، المرجع السابق، ص 352.

[3] الهمذاني، المصدر السابق، ص ص 92، 93.

[4] العريني، المرجع السابق، ص 56.

أما عن طرق التجنيد فكان كل مغولي مستعد لحمل السلاح، ويشرط في السن بلوغ الرابعة عشرة من عمره، وكانت تتم الترقية على أساس المقدرة والكفاءة[1]، وما تميز به المغول من قتال وحروب فإنهم يفصلوا بين نظمهم الإدارية والحربية فهما وجهان لعملة واحدة ،بحيث كانت كل التنظيمات والتشريعات المغولية لا تخرج عن نطاق الحروب.[2]

II. جنكزخان وتأسيس إمبراطورية المغول:

إنطلق المغول من منغوليا بقيادة زعيمهم جنكزخان[3]، فرغم الصعاب التي واجهها في صغره، ومنها موت أبيه وتفرق أفراد القبيلة عنه، فإنه إستطاع إعادة توحيدها، ثم راح يضم إليه القبائل المجاورة ،فتغلب على أقوى القبائل في المنطقة وهما قبيلتي الكرايت والنيمان وذلك سنة 599هـ-600هـ/ 1202م-1203م، وفي هذا العام إجتمع أعضاء القورلتاي عند نهر أونون ومنح الحاضرون لقب جنكزخان لتيموجين على ان يكون منصب الخانية إرثا لعقبه من بعده.[4]

وهكذا وبعد أن وحّد جنكزخان هضبة منغوليا، وجّه أنظاره بإتجاه الصين، التي كانت مقسمة في ذلك الوقت إلى قسمين، الصين الشمالية وعاصمتها "بيكين"، والصين الجنوبية وعاصمتها "هانشو"، ولقد كانت حملات جنكزخان مبكرة على الصين الشمالية التي إستطاع أن يستولي عليها، ويدخل بيكين سنة 612هـ/1215م ،على أن السيطرة الفعلية على كامل الصين الشمالية قد تمت في عهد خليفته أوكتاي وذلك سنة 631هـ/1234م.[5]

---

[1] الصيّاد، المرجع السابق، ص 361.

[2] الصيّاد، المرجع السابق، ص 368.

[3] هو تيكوجين بن يوسكاي بن كابل بن تومياخان بن ياستنغر بن قايد وبن بودنستار. حرت ولادته في نهر أرنون سنة 549هـ/ 1155م، وكان أبوه عند ذلك يقاتل التتار فصرع زعيم من زعمائهم اسمه تيموحين. فأطلق هذا الاسم على ابنه تيمنا بنصره. أنظر: صفا، المرجع السابق، ص 39، العربني، المرجع السابق، ص 46، شبولير، المرجع السابق، ص11.

Jeen peul poux ;histoire de l'impire morugol ; libraire rtchene fayard ; purus ; 1993 ; p29 et après.

[4] طقوش، المرجع الاسبق، ص 32، تسبولير، المرجع السابق، ص 11، 13

[5] الهمذاني، المصدر السابق، ص 39.

بعد أن وقعت الصين الشمالية في قبضة جنكزخان مدّ أنظاره بإتجاه العالم الإسلامي، حيث كان يجاوره من الغرب علاء الدين محمد خوازمشاه سلطان الدولة الخوارزمية، أما عن أسباب إجتياح جنكزخان لأراضي الدوالة الخوارزمية فقد إختلف فيها المؤرخون، فبعضهم أرجعها إلى حادثة نهب أموال تجار جنكزخان، وبعضهم أرجعها إلى استنجاد الخليفة العباسي الناصر لدين الله بجنكزخان خوفا من محمد خوازشاه.[1]

حيث هاجم جنكيزخان مدن الدولة الخوارزمية، وأخذ يفتكها الواحدة تلو الأخرى بداية ببخارى التي دخلها في 04 ذي الحجة سنة 616هـ[2]، ثم سمرقند في 10 محرم 617هـ/1220م[3]، وهكذا وبعد أن أخضع جنكزخان سمرقند سيّر فرقة يقال لهم المغرّبة وطلب منهم ملاحقة محمد خوازمشاه، وفي طريقها أخضعت كل من"نيسابور"و"مزندران" و"الري"و"همذان" و"أذربيجان".[4]

ظل محمد خوازشاه هائماً على وجهه والمغول يطاردونه، وإنتهى به (المطاف في النهاية إلى إحدى الجزر في طرشان، حيث احتمى بقلعتها ،وفي هذه الجزيرة قضى نحبه سنة 617هـ/ 1220م،[5] وبعد أن تخلص جنكزخان من محمد خوازشاه راح يجتاح الأراضي الأوربية، حيث إنساب المغول في عهده بإتجاه روسيا، وكانت حملاته في هذه البلاد حملات إستطلاعية فقط، وكانت حربه الأخيرة ضد التغونت[6]، وفي إحدى مغامرات الصيد التي كان يقوم بها جنكزخان حمح به حصانه وألقاه أرضاً، ولما اشتد به المرض، وشعر بدنو أجله استدعى أولاده وأوصاهم أن يخلفه

---

[1] شمس الدين الذهبي، تاريخ الاسلام، تحت: عبد السلام التدمري، ج 44، ط2، 1422هـ/ 2001م، ص 27، عز الدين أبي الحسن بن أبي الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ الاسلامي، ج12، دار مكتبة الهلال، بيروت 2003م، ص ص363، 364.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج12، ص 366، طقوش، المرجع الاسبق، ص61.

[3] حافظ أحمد حمدي، الدراسة الخوارزمية والمغول (عزو جنكزخان للعالم الاسلامي وأثاره السياسية والدينية والثقافية)، ط1، دار الفكر العربي، ص 147.

[4] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج12، ص 369.

[5] حمدي، المرجع السابق، ص 152.

[6] هي الشعوب التي استوطنت شمالي الصين و "التبت"، أنظر: طقوش، امرجع السابق، ص 75.

أوكتاي، وتوفي جنكزخان في مكان غير بعيد عن مدينة يسمى "جو" الصينية على ضفاف نهر "تيسي – ثيانغ" في 11 رمضان 624هـ/ 1227م.[1]

III. الإمبراطورية المغولية في عهد أوكتاي وكيوك.

1- في عهد أوكتاي بن جنكزخان (626-639هـ/1229-1241م).

كانت أولى أعمال هذا الخاقان إكمال ما بدءه والده، وفي مقدمة ذلك القضاء على الدولة الخوارزمية، حيث ان جلال الدين منكبرتي استطاع أن يعيد لم شمل الدولة ويدخل في أكثر من واجهة مباشرة مع المغول[2]، ولكن نهاية جلال الدين كانت مثل نهاية والده محمد خوازمشاه، حيث ظل المغول يطاردونه من مكان لآخر، وظل هو هائما على وجهه حتى بلغ احدى قرى ميافاراقين، واحتمى أخيرا بجبال"كورديستان"حيث قتله أحد الاكراد في شوال سنة 628هـ/15 أوت 1231م، وبموته زالت الدولة الخوارزمية من مسرح الحياة السياسية.[3]

وفي عهد هذا الخاقان أيضا هو اجتياح المغول لأوربا وذلك سنة 632هـ/1235م،حيث سيطروا على"القبجاق"و"البلغار"ثم سيطرواعلى الامارات الروسية،وبعدما توجهوا لغزو"بولند" و"المجر".[4]

2-في عهد كيوك بن أوكتاي (644-647هـ/1246-1249م).

تولى أمر المغول بعد أوكتاي ابنه كيوك، إلا أن فترته لم تشهد أحداثا بارزة، إلا فيما يتعلق بالهيلكل الإداري كتعيينه للأمير أرغون واليا على"خرسان"و"العراق"و"أذربيجان"،كما قلّد السلطان تلج أرسلان الرابع سلطنة سلاجقة

---

[1] حافظ حمدي،المرجع نفسه،ص167،يذكر الهمذاني أن وفاته كانت سنة 1225 أو 1227م،الهمذاني،المصدر السابق،ص 28.

Jeen peul poux ; op-cit ; p234.

[2] كارل بروأسلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أيمن فارس ومنير البعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ص ص 40،41.

[3] بركلمان، المرجع نفسه، ص 387.

[4] الهمذاني، المصدر الاسبق، ص 54.

الروم لأنه حضر حفل تنصيبه،[1] وبعد كيوك بدأ عهد جديد في علاقة المغول بالعالم الإسلامي، سيكون فيه المغول أشرس من عهد جنكيزخان.

IV. عهد مونكو خان وحملة مولاكو على بغداد (649-657هـ/1251-1259م).

بعد كيوك خان انتقل منصب الخانية من أسرة أوكتاي إلى أسرة تولوي، وذلك بإعتلاء مونكو بن تولوي عرش المغول سنة 649هـ/1251م، ويعتبر مونكو أبرز خانات المغول بعد جده جنكزخان، فقد تميز بسياسة توسعية مثلة[2]، لذلك كانت فاتحة أعماله أن أرسل بحملة لاجتياح الصين الجنوبية يقودها أخوه قوبيلاي، وحملة بإتجاه الغرب يقودها أخوه هولاكو[3]، ولقد نجح قوبيلاي في حملته بأن سيطر على الصين الجنوبية وذلك في نهاية عام 652هـ/1254م.

أما هولاكو فقد رسم له أخوه مونكو سياسة تقضي أن ينتزع قلاع الإسماعيلية في مزندران، ثم يتوجه إلى بغداد لإسقاط خلافة بني العباس،فإذا أتم هذا الجزء من مهمته واصل زحفه على بلاد الشام ثم دخل مصر ونظرا لأهمية هذه الحملة، فقد جهزها مونكو باحسن التجهيزات، حيث انتقبت الفرق العسكرية من أمهر الجنود المدربين على أنواع الحروب،وألحق بهم فرقة خاصة من "القرخطائين"من صناع المنجنيقات،وقاذفات اللهب،ورماة السهام والمتخصصين في اصلاح آلات الحرب.[4]

قبل انطلاق الحملة بعثت الرسل والمرشدين لإكتشاف الطرق، وتحضير كل ما يلزم الجيش من عتاد، حيث أقيمت الجسور على مجاري الأنهار، وهيئت القوارب والسفن في المواقع التي يحتاج إليها الجيش من أجل العبور، ثم رسم مونكو لأخيه هولاكو السياسة التي يجب أتباعه في حربه[5]،تحرك هولاكو بجيشه بإتجاه الغرب سنة 651هـ/1223م[1] فأسرع إليه أمراء بلاد ما وراء النهر، وحرسان مقدمين له فروض الطاعة.

---

[1] العريني، المرجع السابق، ص ص 193، 194.

[2] محمود السيّد، التتار المغول، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2002م، ص 123.

[3] الهمذاني، المصدر السابق، ص 220 وما بعدها.

[4] الذهبي، المصدر السابق، ج48، ص 08، عبد الأمير الرفيعي، العراق بين سقوط الدولة العباسية، وسقوط ادولة العثمانية، ج01، ط1، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2000م، ص107.

[5] الرفيعي، المرجع نفسه، ج1، ص 107.

1-القضاء على طائفة الاسماعيلية:

دخل هولاكو بجيوشه إلى إقليم قوهستان الجبلي، حيث كانت جيوش الإسماعيلية متحصنة في القلاع التي تفوق خمسين قلعة، على أن أشهرها وأمنعها كانتا قلعتا"ميمون دز"و"ألموت" وكان إمام الاسماعيلية "ركن الدين محمود" يقيم في قلعة "ميمون دز" وكان معه في هذه القلعة كل من رئيس دولته "موفق الدولة"و"نصر الدين الطوسي".[2]

أخذت جيوش هولاكو تفتك قلاع الإسماعيلية الواحدة تلو الأخرى، وفي الأخير ضربت حصارا على قلعة ميمون دز التي يقيم فيها إمام الإسماعيلية ،الذي أيقن بعدم جدوى الدفاع، لذلك قبل بالتسليم، ثم انتقل الهجوم إلى قلعة "ألموت" التي سقطت رغم استماتة قائد حاميتها في الدفاع.[3]

2-حصار بغداد وسقوط الخلافة العباسية:

كانت الخلافة العباسية أثناء حملة هولاكو على بغداد قد دخلت المرحلة الاخيرة من عمرها حسب نظرية ابن خلدون في عمر الدول،[4] وقد خرجت أول فرقة عسكرية لصد هولاكو عن محاصرة بغداد بقيادة الدواتيدار الصغير، غير أنها فشلت في صده، وإستطاع هولاكو أن يحكم الحصار على هذه المدينة، وأمام تكاثف الرمي بالمنجنيقات، قرر الخليفة العباسي المستعصم بالله إرسال وفد للتفاوض مع هولاكو، وكان هذا الوفد مكونا من الوزير الشيعي مؤيد الدين بن العلقمي، وجتاليق النصارى، وبعد المفاوضات قبل المستعصم بتسليم كل من الدواتيدار الصغير، وسليمان شاه، وما إن وصلا إلى معسكر هولاكو حتى أمر بضرب عنقيهما[5]، وأمام ذلك لم يجد الخليفة بُداً من الحضور إلى هولاكو الذي

---

[1] الذهبي، المصدر نفسه، ج48، ص06، 07.

[2] هو فيلسوف، ومؤسس المنهج الفلسفي في علم الكلام، عنى عنه هولاكو وجعله من خاصة أركان دولته، انظر: ناديا جمال ايبسو، الناجون من الغزو المغولي، نزاري قوهشاي، وإستمرارية التقليد الاسماعيلي في ايران، ترجمة: سيف الدين القصير، ط1، معهد الدراسات الاسماعيلية، بيروت، ص87.

[3] الصياد، المرجع السابق، ص242، العريني، المرجع الاسبق، ص 211.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ط1، دار الفكر، بيروت، 1424هـ/ 2004م، ص 184.

[5] الصياد، المرجع نفسه، ص 262، الرفيعي، المرجع السابق، ج1، ص 130.

قام بإعدامه رفسا بالأقدام، وذلك يوم 06 صفر سنة 656هـ/1250م[1] ،وتشير بعض المصادر المصادر أن السيف بقي يعمل أربعين يوما في أهل بغداد.[2]

3-إخضاع بلاد الشام:

كان من الطبيعي بعد أن ينتهي هولاكو من غزو بغداد، أن تكون بلاد الشام هي خطوته التالية، ونظرا للضعف الذي كان عليه حكام هذه المنطقة، فإنه أخضعها بسهولة، حيث تماد جيشه في عام657هـ/1259م

للاستيلاء على حلب،وفي طريقه أخضع كلمن"ميافارقين"و"ماردين"و"نصبين"و"حران"و"الرها"و"حارم"،

ووصل إلى حلب في 02 صفر 658هـ/1260م، وبسبب رفض سلطانها المعظم تورنشاه التسليم فإنه ضرب عليها حصارا محكما، واستطاع بعده مدة اقتحام المدينة، وبذل فيها السيف كما فعل في بغداد.[3]

ونتيجة لهذه الانتصارات الحاسمة للمغول، أدرك الناصر يوسف صاحب دمشق أن الباب أصبح مفتوحا أمام المغول لدخول المدينة، ولكنه جبن وغادر المدينة تاركا عاصمة الأمويين تواجه مصيرها، على أن أهل دمشق طلبوا الأمان من قائد هولاكو كتبغانوين، فدخلها هذا الأخير في صفر 658هـ/1260م، دون إراقة للدماء باستثناء ما حدث في القلعة التي قاومت المغول.[4]

وبسقوط دمشق يكون هولاكو قد أكمل جزء مهما من السياسة التي رسمها له مونكو، ولم يبق أمامه سوى مصر التي كانت تحت حكم دولة المماليك الناشئة.

V. إنهزام المغول في معركة عين جالوت 658هـ/1260م.

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج48، ص 37، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج13، ط1، دار التقوى، القاهرة، 1420هـ/ 1994م، ص 204. السيوطي، المصدر السابق، ص 360.

[2] ابن كثير، المصدر نفسه، ج13، ص 205، السيوطي، المصدر نفسه، ص 360.

[3] ابن الكثير، المصر نفسه، ج13، ص 216، 217.

[4] ابن الكثير، المصر نفسه، ج13، ص 221، 222. بركلمان، المرجع السابق، ص 390.

قبل أن يدخل هولاكو دمشق إضطر أن يعود إلى تبريز في أذربيجان حتى يكون على مقربة من الأحداث التي كان سببها موت الخان الأعظم مونكو، وقيام النزاع حول العرش بين أخويه قوبيلاي وأريق بوقا، وكان قد ترك قوة مكونة من عشرة آلاف فارس بقيادة كتبغانوين، وكلفه بإجتياح دمشق ثم المسير إلى مصر، وإفتكاكها من أبدي المماليك، وإذ نجح كتبغا نوين في الجزء الأول من مهمته وهو دخول دمشق فإنه فشل في جزئه الثاني، ذلك أن سلطان المماليك المظفّر سيف الدين قطز قد إمتلك من الشجاعة ما فقد عند الكثير من الأمراء المسلمين من ذلك الوقت، وقرر في خطة جريئة الخروج لملاقاة العدو في أرض مكشوفة.[1]

ولما كانت درايه لركن الدين بيبرس بأرض الشام، فقد كلفه قطز بأن يكون على رأس قوة استطلاعية لدراسة الموقف على الأرض، وبذلك تقدم بيبرس في شعبان 658هـ/تم 1260م، قاصدا غزة، في الوقت الذي كان فيه كتبغا قد أقام فيها حامتة مغولية تحت قيادة بيدرا، وعسكر هو بالقرب من بعلبك.[2]

لم يفوت بيبرس الفرصة فاصطدم بالحامية وأجلاها عن عزة، وخرج قطز من مصر متوجها إلى فلسطين، وعلم عند وصوله إلى غزّة بأن كتبغا عبر نهر الأردن باتجاه الجنوب الشرقي مجتازا الناصرة ومدعما بقوات أرمينية وكرجية ووصل إلى عين جالوت.[3]

قبل بدء المعركة عقد قطز مجلسا حربيا، لنشر الحماس في نفوس الحاضرين، مذكرا إياهم بأهمية المعركة[4] ،وبعد ذلك تحرك الجيش الإسلامي باتجاه الأردن، وتقدم بيبرس فسبق قلب الجيش، ووصل إلى عين جالوت، وأخذ في مناوشة الجيش المغولي، وكان قطز قد أخفى أغلب الجيش في التلال القريبة، ولم يعرض للمغول إلا المقدمة فقط، وقد رقع كتبغا

[1] محمد سهيل طقوس، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط4، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1436هـ/ 2015م، ص 74.

[2] طقوش تاريخ المماليك، ص 77، العريني، المرجع السابق، ص 258، أنظر، عبد الفتاح سعيد عاشور، العصر المماليكي، في مصر والاشم، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م، ص ص 32، 33.

[3] عين جالوت، بلدة لطيفة بين بيصان ونابلس من أعمال فلسطين، أنظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحمري، معجم البلدان، تحت، فريد عبد العزيز الجندي، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، و ت، ص 200.

[4] العريني، المرجع الاسبق، ص 207.

في فخ الكمين إذ ألقى بكامل جيشه في المعركة وقام بيبرس بالتقهقر أمامه، فطارده كتبغا، فوضع هذا الأخير بين فكي كماشة، وأبيد تقريبا كامل الجيش المغولي، وقتل كتبغا، وتم هذا النصر في 25 رمضان 658هـ/12601م.[1]

وكان من النتائج المباشرة لهذه المعركة أن لقي المغول ولأول مرة في تاريخهم أوّل خسارة حقيقية أمام جيش إسلامي كما استرد المماليك مباشرة بعد المعركة بلاد الشام الذي ظلت ولفترة طويلة محور الصراع الإسلامي المغولي.

خاتمة

و في نهاية هذا المقال يمكن استخلاص النتائج التالية:

1- أن المغول ليس هم التتار، وقد أطلق المؤرخون المسلمون على كل موجة بشرية تأتي من الشرق اسم الترك حينا، واسم التتار حينا آخر، لذلك سموا مغول جنكزخان في القرن اليابع 7هـ/ الثالث عشر 13م- باسم التتار.

2- سكن المغول إضافة إلى أجناس أخرى من التتر والترك بلاد الاستبس، وتحديدا هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي، لذلك أصبح من الصعب التميز بين هته الأقوام المتشابهة.

3- كانت للمغول صفات خاصة بهم، كما كانت لهم نظم اجتماعية ودينية وحربية وإدارية جمعها جنكزخان في قانون إلياسا.

4- استطاع جنكزخان في بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي توحيد القبائل التي كانت تسكن هضبة منغوليا.

5- بعد توحيد جنكزخان لهذه القبائل اجتاح بها مراكز الحضارة، وتغلب على شعوب تفوقه في المستوى الحضاري والإداري والسياسي مثل الصين، والعالم الإسلامي وأوروبا.

6- استطاع جنكزخان وخلفاءه في فترة لم تتجاوز الربع قرن تشكيل إمبراطورية شاسعة، ولكن على جماجم البشر، وهذا لا يرجع إلى تفرق المغول عسكريا، وإنما يعكس التفرق والضعف الذي كان يسود الدول التي إجتاحها المغول.

[1] ابن الكثير، المصدر السابق، ج13، ص 223، السيوطي، المصدر السابق، ص 363، أين الدين عمر ابن الوردي، تتمه المختصر في أخبار البشر، ج2، مخطوط، جامعة إكسنورد، ص ص 206، 207.

7- واصل خليفة جنكزخان أوكتاي خطى والده في غزو العالم حيث أتم فتح الصين الشمالية، وقضى نهائيا على الدواسة الخوارزمية، كما إجتاح أوربا.

8- في فترة حكم كيوك بن أوكتاي القصيرة خفت حروب المغول نسبيا.

9- إنتقلت الخانية في المغول من أسرة أوكتاي إلى أسرة تولوي، حيث تم إنتخاب مونكو بن تولي خانا أعظم على المغول.

10- تميّز هذا الخاتان بسياسة توسيعية مثل جده جنكزخان لذلك كانت بادرة أعماله أن أرسل حملتين الأولى باتجاه الصين يقودها أخوه الأوسط قوبيلاي، والأخرى بقيادة أخوه الأصغر هولاكو لإجتياح ما بقي من العالم الإسلامي.

11- نجح كل من قوبيلاي وهولاكو، فقد أتم قوبيلاي فتح الصين الجنوبية، كما قضى هولاكو على طائفة الاسماعيلية وأسقط الخلافة العباسية ثم دخل بلاد الشام.

12- اضطر هولاكو أن يعود إلى تبريز بأذربيجان حتى يكون على مقربة من مجرى الأحداث التي كان سببها موت الخان الأعظم مونكو وقيام النزاع حول العرش بين أخويه قوبيلاي وأريت بوقا.

13- كان هولاكو قد ترك في بلاد الاشم قوة من عشرة ألاف جندي بقيادة كتبغ انوين أوعز إليها باجتياح مصر، والقضاء على دولة المماليك الناشئة.

14- إمتلك سلطان المماليك المطفر قطر من الحنكة السياسية والشجاعة ما جعله يخرج لملاقاة المغول في أرض مكشوفة في عين جالوت التي تكبّد فيها المغول لأول مرة خسارة حقيقية على يد جيش إسلامي

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر:

- ابن الاثير عز الدين أبي الحسن بن أبي الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ ، ج12، دار مكتبة الهلال، بيروت 2003م
- ابن الوردي ابن الدين عمر ، تتمه المختصر في أخبار البشر، ج2، مخطوط، جامعة إكسفورد.
- ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة، ط1، دار الفكر، بيروت، 1424هـ/ 2004م.
- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل ، البداية والنهاية، ج13، ط1، دار التقوى، القاهرة، 1420هـ/ 1994م.
- الذهبي شمس الدين ، تاريخ الاسلام، تحت: عبد السلام التدمري، ج 44، ط2، 1422هـ/ 2001م،

- السيوطي جلال الدين ، تاريخ الخلفاء، تحت: أحمد ابراهيم زهرة وسعيد بن أحمد العبد ويسي، ط4، دار الكتاب الغربي، بيروت، 1424هـ/ 2003م.
- الهمذاني رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ (تاريخ حلفاء جنكزخان من أوكتاي قاآن إلى سيمور قاآن فؤاد عبد المعطي الصياد، ط1، دار النهضة العربية. بيروت، 1983م.
- ياقوت الحمري، شهاب الدين أبي عبد الله معجم البلدان، تحت، فريد عبد العزيز الجندي، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، و ت.

2- المراجع باللغة العربية:

- ايبو ناديا جمال ، الناجون من الغزو المغولي، نزاري قوهشاي، وإستمرارية التقليد الاسماعيلي في ايران، ترجمة: سيف الدين القصير، ط1، معهد الدراسات الاسماعيلية، بيروت.
- بروكلمان كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أيمن فارس ومنير البعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م.
- بيرتولد شبولير، المغول في التاريخ، ترجمة: يوسف شلب الشام، ط1، طلاسم للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1980م.
- حمدي حافظ أحمد ، الدراسة الخوارزمية والمغول (عزو جنكزخان للعالم الاسلامي وأثاره السياسية والدينية والثقافية)، ط1، دار الفكر العربي.
- الرفيعي عبد الأمير ، العراق بين سقوط الدولة العباسية، وسقوط ادولة العثمانية، ج01، ط1، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2000م.
- السيّد محمود ، التتار المغول، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2002م.
- الصيّاد فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، دت،
- طقوس محمد سهيل ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط4، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1436هـ/ 2015م.
- طقوش محمد سهيل ، تاريخ المغول العطام والإيلخانيين، ط1، دار النفائس، بيروت، 1420هـ/ 2007م
- عاشور عبد الفتاح سعيد ، العصر المماليكي، في مصر والاشم، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م،
- العريني السيد الباز ، المغول، دار النهضة العربية، بيروت، 1406هـ/1986م، ص5.

- العقيد محمد أسد الله صفا، جنكزخان الوحشي النابغة 1167- 1227م، دار النفائس، بيروت 1408م/ 1998

3-المراجع الاجنبية:

Jeen peul poux ;histoire de l'impire morugol ; libraire rtchene fayard ; purus ; 1993 ; p29 et après